الزمن خير حلال للمشكلات

من الأمور البديهية المقررة المسلمة أنك لن تستطيع مهما حاولت أن تعيش طيلة حياتك على نمط واحد أو أسلوب واحد ، بل لابد من التغير والتبدل ، والإقبال والإدبار والسراء والضراء ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسعادة والشقاء ، والراحة والتعب ، والاطمئنان والقلق ولن تمر بك الأمور كما تمر الريح هادئة رخاء ، بل ستصادفك أمور ومشكلات تحتاج منك إلى حسن النظر وعميق التدبر. وكثير من الناس قد وهبهم الله الفكر الناضج والعقل النير والاحتيال اللطيف أمام دقائق الأمور ، ولكن بعضهم لايحسن اختيار الوقت الذى يعالج فيه مايعرض له من مشكلات ، سبب ذلك أنهم يريدون أن يعيشوا فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل دفعة واحدة ، فهم يجترون ذكرياتهم ، الحسن منها والقبيح ، ويشغلون أنفسهم بها شغلا سيئا ، فيقولون : لو كنا فعلنا كذا لكان يستحسن ، «ولو» تفتح باب الشيطان كما يقول الحديث .

وهم أيضا يتطلعون إلى المستقبل ويفكرون فيه مع أنه لايزال غيبا يعلمه الله ، فهم يقولون : ماذا نفعل لو حدث كذا ، وما هى النتيجة لو لم يتيسر لنا كذا ، ويتركون حاضرهم وعاجل أمورهم ، ويبدأون فى نسج ثوب طويل عريض لمستقبلهم ، مع أن مستقبلهم لم يولد بعد ، ومع أن حاضرهم أولى بهذا الثوب أو بعضه ، وبذلك الاختلال فى اختيار الوقت المناسب لحل المشكلة يفقد أولئك الناس كثيراً من راحتهم وهنائهم وسعادتهم ، ولو أنهم عاشوا فى حاضرهم وحده ، وواجهوا مشكلاته وحدها ، وحلوها فى وقتها المناسب ، لوفروا وقتهم وجهودهم ، وسعدوا بدنياهم ! ! .

ومن العجيب فى هذه الحياة أنك قد تعرض لك المشكلة من المشكلات ، وأوانها لم يحل بعد ، فتذهب ضاربا الأخماس فى الأسداس ، ومحاولا بقسوة وشدة أن تجد لها حلا فلا تستطيع ، فتظل مسهد الطرف قلق الخاطر خافق القلب ، تتوهم أن أشباحا سوداً تنتظرك ، وأن إخفاقا فى الطريق يتهددك ، وأن شقاء فى الغد المبهم سيلقاك ولكن الأيام تمر ، ويحل ميعاد ماعرض لك من مشكلات ، فإذا بالزمن نفسه قد حلها ، وإذا بتقديرك قد بعد أو شط ، وتكفل الدهر بنهوين ماعسرت ، وتقريب ماأبعدت ، ولعل الشاعر يرمز إلى هذا المعنى من طرف خفى حين يقول :

تقفون والفلك المحـــرك دائر
وتقـــدرون فتضحك الأقدار

فى كثير من الأوقات مرت على أزمات ضقت بها ، ولم أعرف الخلاص منها ، وأكثرها كان يغلق على أمره فلا أستبين فيه رشاداً ، وخاصة حينما يتصل ذلك بغيرى من الناس ، فأقول مثلا : كيف السبيل غداً إلى إرضاء ذلك الصديق ، أو قضاء حاجة ذلك الرفيق ، أو الوفاء بذلك الوعد ، أو النجاح فى تلك المحاولة ، أو الوصول إلى ذلك الهدف ، أو تجنب هذا الخطر المداهم المقبل بعد قليل ؟ ! . وهكذا من أمثال هذه الفروض والحلول ، وأضيق ذرعا كما قلت حين لاأعرف الحل الفاصل اليسير لهذه المشكلات ، ثم أقول بعد هذا كله : هيه ! . . دعها للزمن ، فسيتولى حلها . وكثيراً مايصدق ظنى فيتولى الزمن الحل ، فى الساعة الفاصلة أحياناً ، وقبل الأوان أحيانا أخرى ! ! .

أيها الإنسان ، عش فى ساعتك التى أنت فيها ، وأحسن التدبير لها ، ولا تشغل نفسك بأوهام تتخيلها فى مستقبل غامض لم يأت بعد ، فإن عرض لك شىء من ذلك فقل فى نفسك ، أو بأعلى صوتك : دع ذلك للزمن يتولى حله ، فإن الزمن خير حلال للمشكلات ! ! .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف